

بسم الله الرحمن الرحيم.

دورة التزكية والتربية لشهر جمادى الثاني 1438

المادة: العقيدة الإسلامية.

الموضوع: فضل التوحيد وما يكفر الذنوب . (أ. حامد أديرمي يوسف)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أيها الأخوة الكرام، إن أعظم ما يملكه المرء في هذه الحياة الدنيا، هو التوحيد لله جل وعلا، الذي ينبغي أن يكون همه وشغله الشاغل؛ لأنه هو المفتاح الذي يدخل به جنة رب العالمين، وينجو به من نار الجحيم؛ قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].

التوحيد في الإسلام

التَّوْحِيدُ، وهو لغةً جعلُ الشيءِ واحداً غيرَ متعدّد، وفي اصطلاح المسلمين، هو الإيمان بأنَّ اللهَ واحداً في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له في ملكه وتدييره، وأنه وحده المستحقُّ للعبادة فلا تُصَرَّفُ لغيره. ويُعتبر التَّوْحِيدُ عند المسلمين محور العقيدة الإسلامية، بل محور الدِّين كلاً،^[1] حيثُ ورد في القرآن: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ»^[2]، والتَّوْحِيدُ يشكِّلُ نصفَ الشَّهادتين التي ينطق بها مَنْ أراد الدخول في الإسلام، كما يُعتبر الأساس الذي يُبنى عليه باقي المعتقدات الإسلامية.

ويتضمَّن التَّوْحِيدُ في الإسلام نفي وجود أيِّ آلهةٍ أخرى مع الله، ونفي الشَّبه بين الله وبين خلقه، فالله في الإسلام واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، لا شريك ولا ندٌّ له، منفردٌ في التصرّف في ملكه، لا يُسأل عمّا يفعل، لا يخرج عن مشيئته وإرادته شيء، بل هو الفعّال لما يريد، لا رادٌّ لأمره، ما شاءه كان، وما لم يشأه لم يكن. ليس بجسم، ولا يشبه الأجسام، ليس كمثل شيء ولا هو مثل شيء، ليس محدودٌ بزمان ولا مكان، بل الزمان والمكان من خلقه وتدييره^[3].

وقد قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام رئيسية - وإنما في أساس فهمه ومعناه لا يجرأ - هي:

1. **توحيد الربوبية:** ويقصد بتوحيد الربوبية أفراد الله بأفعاله، وبعبارة أخرى أن يعتقد المسلم تفرد الله بالخلق والرزق والإحياء

والإماتة والملك والتدبير وسائر ما يختص به من أفعال وقد كان هذا النوع من التوحيد واضحاً بيناً حتى لدى قريش قبل الإسلام^[8].

2. **توحيد الألوهية:** معنى توحيد الألوهية هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو الإله الحق ولا إله غيره وإفراده بالعبادة. والإله هو المألوه أي المعبود وتعرف العبادة لغَةً بأنها الانقياد والتذلل والخضوع. فلا يتحقق توحيد الألوهية إلا بإخلاص المسلم العبادة لربه وحده في باطنها وظاهرها بحيث لا يكون شيء منها لغيره. ويقول ابن تيمية في توحيد الألوهية: "وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين"^[9]. وبهذا فإن تطبيق توحيد الألوهية يستلزم التوجه إلى الله وحده بجميع أنواع العبادة وأشكالها. ومنها الأمور التالية: **إخلاص المحبة لله** فلا يتخذ العبد من دون الله نداً يحبه كما يحب الله. **إفراد الله** في الدعاء والتوكل والرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله. **إفراد الله بالخوف** منه فلا يعتقد المؤمن أن بعض المخلوقات تضره بمشيئتها وقدرتها فيخاف منها فإن ذلك شرك بالله. **إفراد الله بجميع أنواع العبادات** البدنية مثل الصلاة والسجود والصوم وجميع العبادات القولية مثل النذر والاستغفار.

3. **توحيد الأسماء والصفات:** وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله محمد من الأسماء الحسنى والصفات وإمرارها. وفي صياغة أخرى: اعتقاد انفراد الله بالكمال

المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة وذلك بإثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله محمد من الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة بالكتاب والسنة

منفضائل التوحيد وما يكفر الذنوب:

التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، يدفع الله به العقوبات في الدارين، ويسط به النعم والخيرات. قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النحل (97)

التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ [الأنعام: 82]. [يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والتوفيق لكل أجر وغنيمة. يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات، ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه يرفعه)) : يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة يدخل الله به الجنة، فعن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)) : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة

حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)، وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

التوحيد يمنع دخول النار بالكليّة إذا كمل في القلب، ففي حديث عتبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (...)) فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله.))

يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى حبة من خردل من إيمان. وعن عبدالله بن مسعود

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمانٍ، ولا يدخل الجنة أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردلٍ من كبرياء))؛ رواه مسلم.

التوحيد هو السبب الأعظم في نيل رضا الله وثوابه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله! مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أبا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ.»

جميع الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت. قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمَا أَجْرَهُمَا بِأَحْسَنِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النحل (97)

يُسَهِّلُ عَلَى الْعَبْدِ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَيَسَلِّيهِ عَنِ الْمَصَائِبِ، فَاَلْمَوْحِدُ الْمَخْلُصُ لِلَّهِ فِي تَوْحِيدِهِ تَخَفٌ عَلَيْهِ الطَّاعَاتِ؛ لِمَا يَرْجُو مِنْ ثَوَابِ رَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَيَهْوُونَ عَلَيْهِ تَرَكَ مَا تَهْوَاهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَعَاصِي؛ لِمَا يَخْشَى مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ.

التوحيد إذا كمل في القلب حُبُّ اللَّهِ لِصَاحِبِهِ الْإِيمَانَ وَزِينَهُ فِي قَلْبِهِ، وَكَرَهُ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَجَعَلَهُ مِنَ الرَّاشِدِينَ.

التوحيد يخفف عن العبد المكاره، ويهون عليه الآلام، فبحسب كمال التوحيد في قلب العبد يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرج ونفس مطمئنة، وتسليمٍ ورضًا بأقدار الله المؤلمة، وهو من أعظم أسباب انشراح الصدر. (الذين قال لهم الناس إن

الناس قد جمعوا لكم فاحشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) آل عمران (173)

يحرّر العبد من رِقِّ المخلوقين والتعلُّقِ بهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العزُّ الحقيقي، والشرف العالي، ويكون مع ذلك متعبداً لله لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إياه، وبذلك يتمُّ فلاحه، ويتحقق نجاحه. **إِنَّمَا ذُلُّكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** (آل عمران 175)

التوحيد إذا كمل في القلب، وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيراً، وتضاعف أعماله وأقواله الطيبة بغير حصر، ولا حساب.

تكفل الله لأهل التوحيد بالفتح، والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

الله عز وجل يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمنُّ عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه، والأنس بذكره.

قال العلامة السعدي رحمه الله: (وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، والله أعلم.

وقال ابن تيمية رحمه الله: (وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله)

أنه أكبر دعامة للرغبة في الطاعة؛ لأن الموحّد يعمل لله سبحانه وتعالى؛ وعليه، فهو يعمل سراً وعلانية، أما غير الموحّد؛ كالمرائي مثلاً، فإنه يتصدق ويصلي، ويذكر الله إذا كان عنده من يراه فقط، ولهذا قال بعض السلف: إني لأود أن أتقرب إلى الله بطاعة لا يعلمها إلا هو .

التوحيد أعظم من الصلاة، وأعظم من الصيام والزكاة، ومن الحج وبر الوالدين، وغير ذلك من مكارم الأعمال والأخلاق، التوحيد هو منبع الفضائل، وهو منطلق الأعمال والأقوال الصالحة، من حافظ عليه غنم وأفلح في الدنيا والآخرة.

نسأل الله جل وعلا أن يُثبتنا على توحيده، وأن يُعيذنا من الشرك صغيره وكبيره!